الكروس الثاني المرحلة الثانية

المادة: تاريخ الحضارات القديمة

وصف المادة: نتناول هنا الديانة البوذية وكيف ظهرت وانتشرت في الصين والهند

عنوان المحاضرة

البوذا والبوذية Buddhism and Buddhism

المحاضرة الثانية عشر

محتويات المحاضرة ...

(٢)البوذا والبوذيه :

ومع جهلنا بالعوامل الاجتماعيه والاقتصاديه التي عملت على ظهور الجينيه والبوذيه الشبيهه بها في الهند في حدود القرن السادس الا انهما في مبادئهما يبدون وهما رد فعل عنيف ازاء الانغماس في الملذات من جراء تجمع الثروات الهائله عند الطبقات العليا في المجتمع

وتروى لنا المأثر الهندوسيه ان والد بوذا كان من النبلاء المثرين من قبيلة "الغوتاما" وكان اميرا او ملكا على اقليم في سفح جبال همالايا ، ويخصص البحث الحديث لولادته عام ٥٦٣ ق.م. ولا نعرف عن قصة حياته سوى ما جاءنا من المأثر والقصص بموجب هذه المأثر تزوج البوذا في عمر ١٩ عام بابنة عمه الجميله وعاش سعيدا زمنا ما ولكن ادرك فجأه عقم حياته الفارغه التي لم تملؤها اسباب السعاده التي كانت التي كانت في متناول يده من ناحيه الثروه و اسباب الحياه السهله وفي ما هو في هذا الحال التقى بأحد أولئك المتقشفين المتزهدين

فأستهوته طريقتهم وفيما هو يفكر بتغيير سير حياته وأنه الأنباء بأن زوجته الجميله قد ولدت له ولداً فوجد "غوتاما" في ذلك رباطاً جديداً يجب قطعه فعاد الى موطنه وأحتفل بعودته وبولادة الطفل وفي ليله مقمره دخل الى مخدع زوجته فوجدها تحيط بها الأزهار والطفل نائم بين ذراعيها فأحس بشوق لعناق الطفل ولكن خاف أيقاظ زوجته فخرج من المخدع وأمتطى جواده وهام على وجه في عالم الهند الواسع وظل يسير حتى أبتعد عن ربوع عشيرته ولما أن أصبح الصباح وجد نفسه عند النهر.

فتمهل هنا وقطع بسيفه شعره الطويل المسرح بهيئه ظفائر ورمى جميع حليته وبدء تجواله ووجد في طريقه رجلاً مرتدياً أسمالاً فأستبدلها "غوتاما" بحلته الزاهيه وبذلك أصبح حراً في هيامه الأن بحثاً عن الحكمه والحقيقه ووجد في أثناء تجواله جماعه من الرهبان المتبتلين فعاش معهم في الكهوف فكان يذهب الى المدينه والقرى المجاوره للتبشير بتعاليمهم ، وتظلع بجميع المعارف الميتافيزيقيه في عصره ولكنه لم يجد فيها حلاً لأزمته الفكريه فأتبع سبيل التقشف المتطرف مع خمسه من أتباعه وأصباحه حيث قضى معهم في غابه حياة مارس فيها الصوم القاسي الشديد ونكران الذات والجسم فذاعت شهرته وفيما كان مرة يسير ذهابا مفكرا بحل لعذابه النفسي اصابه الاعياء الشديد فسقط على الارض فاقدا شعوره والفى نفسه وقد وجد سبيل الحكمه الابديه واضحا امامه فطلب من اصحابه ان يطعموه الطعام العادي تاركا صومه وزهده فأنكر ذلك اتباعه ولكنه نفسه ادرك الحقيقه من ان الانسان لايستطيع ادراك اي حقيقه مهما كانت الا بعقل سليم في جسم سليم معافى.

وهذه افكار غريبه بالنسبه الى متنسكي الهنود فتركه أصحابه وأتباعه فاخذ "غوتاما" يتجول وحيدا وتروى المأثر انه حصل على الالهام بالحكمه المطلقه لما كان يفكر بلا حراك ليلا ونهارا تحت شجره في ضفة النهر فعاد الى "بنارس" وجمع حوله الاتباع من جديد حيث اسس مجتمعا منهم يعيش في الاكواخ وكانت تعاليمه الجديده تدور على كبح النفس وضبطها فأن جميع مايصيب الانسان من شقاء منشؤه من رغبات الفرد واطماعه وهناك ثلاثة اشكال تبدو فيها اشواق النفس ورغباتها وكلها شر فأولها الرغبه الحسيه والشهوات وجميع اشكال الملذات الحسيه وثانيها شهوة النفس الانانيه للخلود وثالثها الرغبه في النجاح الشخصي

في المادة والاطماع واذا استطاع المرء من الغلبة على هذه الرغبات والشهوات فتحصل سعادة الروح الكاملة وهي بلوغ حالة (النرفانا) . وهي اسمى فضيلة . وعنها تنتج الاستقامة العقلية وسمو الغرض والهدف في الحياة والسلوك الفاضل في العيش والحياة . ومع ان (النرفانا) في تطرقها قاسية ترمى الى افناء النفس بضبط الشهوات الا انه يكمن فيها السر للسيطرة على النفس وهو امر اتفق فيه جميع المصلحين من جنس البشري سواء كانوا الذي يعيش فيها الماء او في الحياة الاخرى عن طريق التناسخ وهذا هو المبدأ الهندي المعروف بأسم (الكرما) وهو ما قدر على الفرد من عقاب او ثواب جزاء

اعماله السابقة التي تحدد مصيره في المستقبل بموجب الناموس العام من ان اي عمل يجازى خيرا او شرا بحسب طبيعته واشتهر (غوناما) بطريقة بث تعاليمه في تجوله مع اتباعه من موضع الى موضع اخر على غرار (السفسطائيين) اليونان كما انه كان يشبه سقراط في طريقة عرض تعاليمه بطريقة القاء الاسئلة والوصول منها الى الحقيقة المطلوبة ونسبت اليه المآثر والرغبة وان الحكمة تكمن في كبت جميع الشهوات ويتضح مما اوردناه شبه تعاليم (البوذا) بالمذهب (الجيني) الذي اسسه (المهافيرا) على ما لخصناه فيها سبق .

ومع ان البوذية لم تكن في حياة مؤسسها تتطوى على نظام خاص للكهنة الا انهم سرعان ما انشأ منها بعد موت مؤسسها نظام خطر من الكهان على طراز كهنة هندوس و(البراهمان) كما ان اتباع البوذا اخذوا من بعده يؤلهونه ويقدسونه ووقعت في تعاليم تحويرات واضافات واساطير لم تكن بالاصل ولم يكن المؤسس ليرتضيها .

وننهى كلامنا على الهند القديمة بذكر شيء موجز عن العهد المهم الذي اعقب غزوا الاسكندر للهند . فقد عبر الاسكندر في عام (٣٢٧ ق.م) من ايران مرتفعات (هندو كوش) ودخل في الهند وبقى يحارب عام واحد في الولايات الشمالية الغربية التي كانت تابعة للامبراطورية الفارسية وحصل منها على الموارد لجيشه وعلى الذهب وعبر في عام (٣٢٦) السد وحارب من لاقاه في طريقه شرقا وجنوبا ولاقى جيش الملك الهندي المشهور المعروف باسم (فور) ودحر جيشه الهائل مع فيلته ويعد هذا الانتصار اعجب الاسكندر بشجاعة (فور) وشخصيته فعفا عنه وولاه على الجميع ما فتحه من بلاد الهند ليكون تابعا للامبراطوريته فبقى (فور) مخلصا ولكن نفوذ المقدونيين لم يبقى في الهند زمنا طويلا من بعد موت الاسكندر انه ثار عليهم امير شاب اسمه (جندوا كوفتا) عام (٣٢٢__٢٢٨ ق.م) فاستطاع ان يتغلب على الحامية المقدونية ومد فتوحه واسس سلالة عظيمة حكمت الهند وافغانستان زهاء (١٣٧) عام بين (٣٢٢__١٨٥ ق.م) وهذه هي السلالة المورية التي صارت في زمن مؤسسها امبراطورية كبيرة واعظم دول العالم القديم الموجودة انذاك .

وكانت تعاصر الحكم السلوقي في سوريا والعراق وعلى صلات مع السلوقيين . وقد اعجب السفير السلوقي الذي جاء الى عاصمة هذه المملكة (فتاليفتراء) عاصمة مملكة مغاذا السابقة حيث اندهش بالحضارة الباهرة التي كانت في هذة المملكة وحسن اخلاق اهلها وانتظام شرائعها واشتهرت من مدن المملكة (البالغة ٢٠٠٠ مدينة) في عهد مؤسس السلالة مدينة (تكسلا) الواقعة على بعد نحوا ٢٠ميل من مدينة (روليندى) الحديثة وهيه الان مشهورة باثارها الباقية .واشتهر من هذه السلالة ملكها الشهير (اصوكا) (٢٧٣__٢٣٢ ق.م) حفيد مؤسس السلالة وقد اعتنق هذا المذهب البوذي وجعله المذهب الرسمي في الدولة .

وقد استطاع ان يمد فتوحه ويجعلها تشمل معظم اجزاء الهند . ويعد حكمه الذي دام (٢٨) عام من العهود المجيدة في التاريخ البشري لما قام به من اعمال ومشاريع عمرانية كان البعض منها سابقا في اوانه ومما يميز اتجاهات العصور الحديثة في تاريخ الانسان . فقد اسس المستشفيات والجامعات والحدائق العامة وخصص مزارع لانماء الحشائش والعقاقير الطبية واوجد وزارة تعتني بشؤون الطوائف الخاضعة والمنبوذة في الهند كما شرع تعليم النساء وعنى بالبحوث والتأليف ووجه الكتبة البوذيين على نقد ادب الديانة البوذية وتطهيرها من الخرافات والاساطير وبعث البحوث البشرية الى كشمير وفارس وسيلان واسكندرية .

ومما يؤسف له ان الخلفاء (اصوكا) لم يكونوا اكفاء له . فظهرت مقاومة الكهنة (البراهمانيين) الذين كانو يعارضون التعاليم البوذيه الصريحة البسيطة فاضعفوا المعتقد البوذي وشاعت الالهة العديدة المتصفة بلوحشية مما في الديانة الهندوسية والبراهمانية التي اخذت تحل محل البوذية بلتدريج وجعلتها تنهار في شبة القارة الهندية ولكن مع ذلك انتشرت البوذية في خارج الهند حتى تمكنت من الصين وسيام وبرمة واليابان ولاتزال البوذية في هذه الاقطار هي الديانة السائدة .